خطبة مفرغة بعنوان :

﴿الموت والاستعداد له﴾

ألقاها فضيلة الشيخ :

عبدالله بن صلفيق الظفيري

-حفظه الله-

في جامع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بحفر الباطن

١٤٣٧\٤\٢٦ هـ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

والصلاة والسلام على رسول الله القائل مستعيذا بالله عز وجل : (أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون)[١] ، صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

عباد الله : اتقوا الله تعالى حق التقوى ، وراقبوه في السر والنجوى ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

أيها المسلمون : لقد كتب الله الموت على كل مخلوق ، فالموت أمر محتوم على من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وجبريل والنبيين والمرسلين وغيرهم من جميع المخلوقات ، قال الله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص: ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٤ – ٣٥] .

فالموت – يا عباد الله – هو القيامة الصغرى ، ومن مات فقد قامت قيامته ، والموت هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة ، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه وكل واحد له أجل محدود ، وأمد ممدود، ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يُقصر عنه ، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته ، وجرى به القلم بأمره يوم خَلْقِه ، ثم كتبه الملَك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في وقته المحدد في أي مكان يكون وفي أي زمان ، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ، ﴿أَيْنَمَا

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) ، حديث رقم : ٧٣٨٣ .

تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] ، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤] .

روى مسلم في صحيحه[١] أنَّ أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله ﷺ : (إنك سألتِ الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة ، لا يعجل شيئاً منها قبل حلِّه ولا يؤخر منها يوماً بعد حِلِّه ، ولو سألتِ الله تعالى أن يعافيكِ من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر لكان خيراً لكِ) .

عباد الله : ولهذا كان لزاماً على المؤمن اللبيب أن يتذكر هذا الأمر المحتوم ، ويستعد له بما ينفعه من استغلال عمره فيما خُلق له من عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وألا يغفل عن ذلك ولا تغره الدنيا ولا يغره بالله الغرور .

روى البخاري في صحيحه[٢] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك) .

فيا عباد الله : تأهبوا للموت ، تأهبوا للموت قبل نزوله ، واستعدوا لما بعده قبل حصوله ، وبادروا بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله ، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار ، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه ، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه ، إذ ليس بعده لأحد من مستعتَب ولا اعتذار ، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ، ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر ، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السماوات والأرضين ، والموقف الطويل بين يدي القوي المتين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم ، الذي لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، إنَّ ربي على صراط

---

١ – كتاب : القدر ، باب : بيان أنَّ الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ، حديث رقم : ٦٩٤٣ .

٢ – كتاب : الرقاق ، باب : قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، حديث رقم : ٦٤١٦ .

مستقيم ، ثم بعد ذلك إما نعيم مقيم في جنات النعيم ، وإما عذاب أليم في نار الجحيم ، وإن لكل ظاعن مقراً ولكل نبأ مستقراً وسوف تعلمون . قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ٩ – ١١] ، وقال تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۝٤٤﴾ [الشورى: ٤٤] ، هذا سؤالهم ، هذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار ، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ۝٤٤﴾ [إبراهيم: ٤٤] ، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ، ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال ، وشديد الأنكال ، والمقامع والأغلال ، والسلاسل الطوال ، وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال ، ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٧ – ٢٨] ، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه ، وهم ناكسو رؤوسهم بين يديه ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة: ١٢] ، وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم وعذابها الأليم ، كما

قال تعالى : ﴿يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ [فاطر: ٣٧] .

فاتقوا الله يا عباد الله ، فاتقوا الله يا عباد الله ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، واتعظوا واعتبروا بمن تشيعون كل يوم ، وبمن تدفنونهم وتصلون عليهم كل يوم .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، نسأل الله أن يحشرنا في زمرته يوم القيامة ، وأن يجعلنا معه في الفردوس الأعلى ، اللهم إنَّا نسألك بحبنا لمحمد ﷺ أن تحشرنا في زمرته وأن تجمعنا به في الفردوس الأعلى يا رب العالمين .

عباد الله : روى الإمام البخاري في صحيحه[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس –أي منقوص فيهما كثير من الناس– : الصحة والفراغ) . وروى الحاكم عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه : (اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)[2] ، يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد ، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ، ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال ، في زمن الفرصة والإمهال ، فإن بعد كل شباب هرماً ، وبعد كل صحة سقماً ، وبعد كل غنى فقراً ، وبعد كل فراغ شغلاً ، وبعد كل حياة موتاً ، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم ، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم ،

---

١ – كتاب : الرقاق ، باب : ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، حديث رقم : ٦٤١٢ .

٢ – صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ، حديث رقم : ١٠٧٧ .

ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر ، ومن فرط فيه ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل ، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات ، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ، ويطلب الكرة وهيهات ، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات .

ولقد حثنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشدَّ الحض ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى في محكم كتابه داعياً عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) ﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) ﴾ [الشورى: ٤٧] .

اللهم ثبتنا على الإسلام والسنة ، اللهم إنا نعوذ بك من الغفلة والفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم ثبتنا عند الموت ، وثبتنا عند سؤال منكر ونكير ، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب في القبر وعذاب في النار ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم إنَّا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم إنَّا نسألك الهداية لنا ولذرياتنا وللمسلمين يا رب العالمين ، اللهم وفق ولي أمرنا لعز الإسلام والمسلمين ، اللهم وفق ولي أمرنا لنصرة أهل السنة في كل مكان ، اللهم وفق ولي أمرنا لنصرة أهل السنة كما نصرت به أهل اليمن فانصر به أهل الشام والعراق يا رب العالمين ، اللهم انصر بولي أمرنا أهل السنة في الشام

والعراق يا رب العالمين ، اللهم انصر بجنودنا الموحدين أهل السنة في الشام والعراق يا رب العالمين ، اللهم ارفع راية الجهاد على النصيريين والرافضة يا رب العالمين ، اللهم حرر العراق والشام من أيدي الرافضة والنصيريين يا رب العالمين يا ذا الجلال والإكرام ، والحمد لله رب العالمين .